اختبار الأشياء المحسوسة

- اضغط زر ساعتك الميقاتية.
- انظر إلى هذه الأشياء، وأرقامها، لمدة خمس دقائق.

- هل انتهيت؟ الآن اقلب الصفحات وعد إلى صفحة (١٠)

أحيانًا، تظهر موهبتهم كمفاجأة مذهلة عندما يشبون من الطفولة والشيء الأكثر إذهالا أن الحسابات الرهيبة فعلا (بالنسبة للحاسب العادى) تبدو وكأنها «تحل نفسها بنفسها» من أجلهم،

إنها – بالنسبة لهؤلاء العباقرة الصغار تعتبر سهلة، واضحة، فورية، لا تعليل لها، وهم يشكون من أن فقد موهبتهم سيدمر حياتهم. وهنا يجب أن نسأل أنفسنا مرة أخرى:

ماذا يحدث؟ وما هى هذه الذاكرة؟ وما هى هذه البديهة التى تجيب بدون أن تضطر إلى بذل أقل مجهود، كما لو كانوا يمارسون لعبة، وبدون حاجة إلى إجراء عمليات حسابية.

الذاكرة والتنويم المغناطيسى

أحيانًا يمكن الحصول على نتائج فوق العادية، عندما نطلبها من ذاكرة مريض واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسى. يبدو أن الحقائق، التى غمرها النسيان منذ فترة طويلة، تنهض من طبقات الضباب الكثيفة، ثم «يرى» المريض الماضى، ويستطيع أن يعيد بدقة تامة الأفعال التى قام بها منذ سنوات طويلة، وإذا أوحى إليه بأنه «يعيش حياته مرة أخرى» فى مرحلة معينة، فإنه يستعيد صوت الشخص الموحّى إليه، وحركاته، وتصرفاته.

وفى حالات المشى فى أثناء النوم بالذات تكون الذاكرة واضحة بدرجة غير عادية. إن المشى فى أثناء النوم حالة يبدو فيها المريض نائمًا. لكنه يجيب عند التحدث إليه. ويطيع ما يصدر إليه من أوامر. وفى هذه الحالة يقوى رد الفعل العضلى. وعند أقل لمسة يحدث انقباض عضلى. أما أحاسيس الشم والنظر، والسمع فتصبح

حادة بدرجة لا يصدقها عقل. وتزداد قوة العضلات، وتسمّع الذاكرة كل الصفحات التى سمعها المريض مرة واحدة فقط، منذ فترة طويلة مضت.

إننا نجد هذا من وقت لآخر فى الأشخاص «الهستيريين». وحالة المشى فى أثناء النوم، قد تظهر تلقائيًا فى بعض المرضى. فتحدث لهم هلوسة وهذيانًا فى أحلامهم، ويتكلمون فى نومهم، وينهضون من مخادعهم، ويمارسون الأعمال بدقة مذهلة، وفى منتهى الإتقان، مما لا ينجزونه فى حالتهم الطبيعية.

أما وجه «السائر ليلا» فيبقى متحجرًا بدون انفعال. وهو لا يسمع شيئًا، ولا يرى شيئًا. ويظل نائمًا النسبة لأى شىء لا يشكل جزءًا من حلمه الداخلى. وعندما تنتهى «الأزمة». يعود هذا «السائر ليلا» إلى سريره، ينام فى هدوء وسلام. وعندما يستيقظ من نومه، لا يتذكر شيئًا عامة، ما عدا بعض الأحيان عندما يتعرض لنوع من «الأحلام».

وهكذا، تحت تأثير التنويم المغناطيسى، يمكن تذكر أحداث الماضى بدرجة مفرطة (انظر صفحة (٧٢) يتكلم الفرد عن أشياء لا يعرف عنها أى شىء، ولا يستطيع أن يكررها عندما يفيق من التنويم. وتكون معظم هذه الأشياء - دائمًا - حقائق حدثت فى الفترات المبكرة جدًا من حياة صاحبها، ومن الممكن أن تتأكد بشهادة الشهود.

ونستشهد بحالة – من بين حالات أخرى – لرجل أمى ، بدأ يتكلم.. – تحت تأثير التنويم – بلغة عبرية ويونانية.. وكان معروفًا أنه كان فى خدمة قسيس اعتاد أن يحاضر بهاتين اللغتين، اللتين سُجلتا فى مخ هذا الشخص، فتذكر ألفاظها بدقة، تحت تأثير التنويم المغناطيسى، فى حين أنه فى حالته الطبيعية ما كان يستطيع أن يُردد كلمة واحدة من هاتين اللغتين.

الذاكرة والتخدير

إن النوم تحت تأثير الكلوروفورم (أو الأثير) طالما أعطى الدليل على أن المريض المنوَم، قد تذكر حقائق كان قد نسيها تمامًا. حتى اللهجات التى تعلمها فى طفولته المبكرة، ثم هجرها فيما بعد. وعلى سبيل المثال: رجل نوّموه بالمخدر لإجراء عملية جراحية له. بدأ يتكلم عن رسالة كانت قد أخفيت فى مكان يتعذر الحصول عليه. وكان قد بحث عن هذه الرسالة سنوات عديدة، ولكن بدون جدوى.

يبدو إذن أن ما يغير الحالة العقلية يؤثر على الذاكرة، كيف..؟ يتم ذلك بتقوية حالات معينة من الإدراك، التى تكون فى الواقع محجوبة فى أثناء اليقظة. إننا نلاحظ الشىء نفسه عند الأشخاص الذين يتعاطون المخدرات. ولنتذكر ما قاله «توماس دى كوينسى»:

«يبدو كأنى عشت قرنًا من الزمان فى ليلة واحدة. لقد عادت إلىّ أصغر أحداث شبابى فى تفاصيل رائعة فوق المعتاد».

وهكذا نرى أنه لا يمكن لأى شىء (أو هكذا يبدو) أن يختفى أبدًا من ذاكرتك مادامت قد سُجِّلت يومًا ما. أية إمكانيات رائعة سوف تتفتح عنها الذاكرة، بمجرد أن نملك المفتاح فقط !

لقد ذكرت من قبل، كيف أن الخطر القاتل الوشيك الوقوع، غالبًا ما يعيد الأحداث المنسية ثانية إلى السطح، بل يفعل هذا فى لحظة خاطفة (انظر «المشى فى أثناء النوم».

الذاكرة والتحليل تحت تأثير المخدر

هذه الطريقة تشبه الحالة السابقة. ما هو التحليل بالتخدير؟ إنه يتضمن استعمال «عقار الحقيقة». الذى نوقش على نطاق واسع من وجهتى النظر الأخلاقية والقانونية. و «البنتوثال» هو العقار المستعمل عادة. إنه نوع من «عقار الاعتراف» الذى يمكن أن يكون مفيدًا فى العلاج النفسى، وذلك بتمكينه للمريض من أن يتخلص من الذكريات المكبوتة، و «الصدمات» التى تعذبه (ولكنها الذكريات التى لا يعيها فى حالته العادية). إنها فى الواقع عملية انفجار للذاكرة اللاشعورية.

لقد حدث من قبل

هذا شعور ربما راودكم جميعًا. وقد عبر عنه «فرناند جريغ» بقوله: «إنك تعيش، تجىء وتذهب، وتنطق الكلمات، وتنجز أعمالاً، ثم تذكر فجأة أنك قد قمت – من قبل – بهذه الأعمال،

ونطقت هذه الكلمات بالنظام نفسه، وبالأسلوب نفسه، برغم أنك تكون غير قادر على أن تقول متى.. أو .. أين. - وتشعر بأنك تعيش مرة أخرى بالضبط إحدى اللحظات التى عشتها من قبل. لكنك لا تستطيع أن تعيّن مكانها فى حياتك الماضية».

لقد جرّبنا جميعًا هذا الشعور المقلق. ثم نقول: «لقد حدث هذا من قبل، كان يوجد الموقف نفسه، والإحساس الداخلى نفسه، والكلام نفسه الذى قيل. والآن، كل هذا يحدث مرة أخرى».

بمثل هذا الأسلوب، غالبًا ما نحصل على نوع من بعد النظر، فى المستقبل القريب، مصحوبًا بخوف مزعج. أو ربما نشعر بأننا فعلا قد «عشنا هذه الأحداث فى حياة أخرى». هذه ليست الذاكرة بمعنى الكلمة، لكن يسيطر علينا الإحساس بأننا نبدأ (نعيش مرة أخرى) الجزء نفسه من حياتنا السابقة.

هذا الإحساس غالبًا ما يعترى الأشخاص العاديين تمامًا. أما مع المجانين فتظهر هذه الحالة من وقت لآخر. ثم يختلط الماضى بالحاضر ويعيشون فى عالم الأحلام.

لقد قُدّمت تفسيرات كثيرة لهذه الحالة، التى يبدو أنها تبين أنها تنشأ من نقص التكامل العقلى، أو من ضعف الإدراك العام للحياة والواقع.